المدخل الى درء تعارض العقل والنقل

محاضرة علمية ألقاها أ.د عبدالله الدعجاني في منصة النادي التيمي

أعتنى بها ولخصها

محمد السهيمي

– هذا الكتاب من السعه والعمق والتشعب بحيث يستحيل علميا ومنهجيا ان يستوعب في لقاء واحد، فغايه ما يمكن ان نفعله في هذا المجلس هو ان نضع مفاتيح او نرسم خريطة او نفتح افقا للقراء قراءه، اما ان نوفي الكتاب حقه في جلسة واحده فهذا مما لا يطيقه الوقت ولا يسمح به مقام محدود.

– تتزاحم في أذهاننا جمله من الأسئلة المنهجية مثل كيف نقرا هذا الكتاب باي عين ننظر اليه؟ هل نقراه كتابا في الجدل كلامي فحسب؟ ام نقراه بوصفه مشروعا معرفيا متكاملا؟ ام نقراه نقدا لمنهج فلسفي بعينه؟ وهذه الأسئلة ليست ترفا ذهنيا بل هي الأسئلة التي تحدد زاويه القراءة. ومن زاويه القراءة يتحدد الفهم، ومن الفهم تتشكل النتائج.

– والحقيقة التي اود ان اقررها في البداية هي ان درء تعارض العقل والنقل ليس مجرد كتاب رد على خصوم ولا مجرد عمل جدلي بين اتجاهات كلامية متباينة ولا حتى مجرد تفكيك لنص اشعري او فلسفي، بل هو في تقديري **مشروع منهجي متكامل لإعادة بناء واحده من اوسع وأخطر القضايا في الفكر الاسلامي بل في الفكر الانساني عموما وهي العلاقة بين العقل والوحي**.

– هذه القضية ليست قضية جزئيه وليست مساله فرعيه في علم الكلام بل هي القضية التي يتأسس عليها تصور الانسان للمعرفة ولمصادرها ولحدودها ولمراتبها.

– ومن هنا كان هذا الكتاب في جوهره مشروعا لإعادة ترتيب العلاقة بين العقل والنقل ليس على مستوى الشعارات بل على مستوى البنيه المعرفية العميقة.

– ومن جهة اخرى وهذه نقطه لا ينبغي ان تغفل يمكننا ان نجد في هذا الكتاب حصيلة كبرى لأصول فكر ابن تيميه العقدية والمنهجية، فهو ليس كتابا عارضا في مساله واحده بل هو **كتاب تتكاثر فيه اصوله الكبرى في المعرفة وفي الاستدلال وفي فهم النص وفي تحليل المفاهيم الكلامية والفلسفية**.

– **هذا الكتاب يمثل ذروه في الجدل المنهجي وسعه في الاطلاع ودقه في التفكيك وقوه في البناء** ومن هنا فان قراءته لا ينبغي ان تكون قراءه عابره ولا قراءه اقتباس انتقائي ولا قراءه موقف مسبق، بل ينبغي ان تكون قراءه مشروع، قراءه بناء فكري متكامل قراءه عقل يحاور ويفكك ويؤسس ويعيد ترتيب المشهد برمته.

- **المحاضرة تستهدف رسم مدخل لهذا الكتاب**، وحقيقةً ان فلسفة التأليف في المداخل سواء كانت للعلوم ام للكتب تقوم على تقديم صـــوره كليه مترابطة، **يُبحث فيها عن الروابط العامة وعن السياق التاريخي وعن البنيه الكلية**، لا عن التفاصيل والمسائل الجزئية، وهذا يختلف عما يُكتب اليوم في مداخل العلوم كما نراه اليوم في المكتبات اذ كثيرا ما تطرح المسـائل سـائل ويغفل البناء الكلي وهذا ما لا تسعى اليه فلسفه التأليف في المداخل التي تشبه فلسفه العلوم في تناولها للعلوم.

- هذا الكتاب تحديدا درء تعرض العقل والنقل لا يمكن الدخول اليه الا عبر مســـاله واحده هي موضـوعه، وهذه المســألة المركزية تمثل موضـوع الكتاب كله، **فهناك ترابط عضـوي بين الكتاب وبين المسألة التي اقيم الكتاب لأجلها**.

- ومن هنا اقول **الشـرط الاول لقراءة هذا الكتاب هو فهم ابعاد مسـالته المركزية** قبل قراءته – طبعا مع الالمام ولو اجمالا بالمســائل الاخرى التي تدور على ضــفافها، والقضــايا التي كانت مثارا لنقاش ابن تيميه ونقده في هذا الكتاب.

- المسـألة المركزية التي عُني بها ابن تيمية هي مسـألة كُلية الطابع، لها صـور متعددة، ولها تجليات كثيره في كل عصر وعند كل عقل، ومن صورها القديمة والحديثة ثلاثة صور:

الصورة الأولى: صوره **العلاقة بين العقل والنقل** او علاقة العقل بالوحي.

وهذا ما يبحثه المتكلمون وهذه صوره تطرح السؤال التالي: هل يمكن تعارض العقل والنقل؟ وإذا أمكن التعارض فكيف يمكن تجاوزه؟ وهذه الصورة لسؤالها تبحث في إطار علم الكلام.

الصورة الثانية: صوره **علاقة الفلسفة باعتبارها عقلا، بالشريعة باعتبارها نقلا**.

وهذا ما يبحثه الفلاسفة والمتفلسفة، وتطرح هذه الصورة فكرة وحده الدين والفلسفة، او مشروع ما يُســمى بالتوفيق بين الدين والفلسـفة، وهذه الصـورة تحاول الإجابة عن السـؤال الاتي: كيف يمكن بيان الاتصــال بين الشــريعة وبين الفلســفة باعتبارها منتجاً للعقل؟ وهذه الصــورة بســؤالها تبحث في الميدان الفلســفي، وهي احدى المعارك والصــراعات الفكرية في التراث، التي كانت ذروتها ما كان بين الغزالي وبين ابن رشد.

الصورة الثالثة: صوره **علاقة العقل البشري بالدين الإلهي.**

وهذا ما يبحثه الملاحدة على تنوع اتجاهاتهم لا سيما في الفكر الغربي الحديث والمعاصر، وهذه الصورة تطرح السؤال الاتي: هل بين العقل البشري والدين تنافر وتضاد؟ وهل يمكن التوفيق بينهما؟ وهذه صوره تُبحث في ميدان الفلسفة الحديثة والمعاصرة لا سيما في فلسفه الأديان.

-هذا المدخل يتكون من خمسه محاور:

المحور الأول: الغاية المنهجية لكتاب درء تعارض العقل والنقل وحدود خطابه.

و نقصد به الغاية المنهجية والهدف، فاذا اردنا أن نحدد الهدف الرئيسي لكتاب در تعارض العقل بالعقل فعلينا ان نضعه في موضعه الصحيح من الخريطة الفكرية، **فهذا الكتاب ينتمي بوضوح الى اي الصورة الاولى من صور المسألة التي اشرنا اليها في هذا التمهيد، اي صوره علاقه العقل بالنقل في سياق علم الكلام،** فهو ليس كتابا في فلسفة الدين، ولا كتابا في نقد التوفيق بين الفلسفة والشريعة كما هي عند الفلاسفة، وانما هو كتاب يتوجه مباشره الى الصياغة الكلامية لمشكله التعارض، يعني السؤال المركزي الذي كان مطروحاً عند المتكلمين هو هل يمكن ان يتعارض العقل والنقل؟ وإذا وقع التعارض فما المنهج الصحيح لتجاوزه؟

جاء ابن تيميه ليجيب على هذين السؤالين، وقبل ان نبحث عن طريقه التجاوز، ينبغي ان نتحقق اولا من اصل الفرضية: هل التعارض ممكن اصلاً؟ ومن هنا يبدأ مشروعه، **فهو ينطلق من تأكيد اصلٍ منهجي كبير، وهو منع إمكان التعارض الحقيقي بين صريح العقل وصحيح النقل.** وهذا كما ستاتي الإشارة اليه متفق عليه عند المتكلمين كلهم.

– ولكن ابن تيميه يستحضر هذا الاصل ويبني عليه، ثم بعد تقرير هذا الاصل يتوجه الى نقد القانون الذي اقترحه المتكلمون بوصفه حلا لرفع التعارض.

– اذا الهدف الرئيس للكتاب ليس الرد على كل الاتجاهات الكلامية او الفكرية، وليس كذلك هو مجرد تفكيك لحجج متفرقه، بل هو نقد لقانون المتكلمين في التعامل مع التعارض.

– وهنا يجب ان أنبه الى نقطه دقيقه وهو ان ابن تيميه لم يجعل هدفه الاساسي نقد قانون المتفلسفة، هو متجه كما قلنا الى نقد قانون المتكلمين، وان كان تناول بعض آرائهم كآراء ابن سينا

وابن رشد، لكن هذا **جاء على سبيل التبع لا على سبيل الأصالة**، ولا على سبيل القصد الأول. فالهدف المركزي كان موجها الى المتكلمين.

- وهناك تمايز بين قانون المتفلسفة وقانون المتكلمين كما يراه ابن تيميه

- **قانون المتفلسفة يقوم في جوهره على اقصاء الوحي من ميدان المعرفة نظريا وعمليا،** فالمتفلسفة لا يجعلون خبر الانبياء طريقا الى العلم على حد تعبير ابن تيميه، بل ان بعضهم يذهب ابعد من ذلك فيجعل النبوة من باب التخييل، ويجعل الخطاب الشرعي خطابا رمزيا موجها الى الجمهور، لذلك يقول ابن سينا في الاضحويه في امر المعاد: يقول:" اما امر الشرع فينبغي ان يعلم فيه قانون واحد وهو ان الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الانبياء يُرام بها خطاب الجمهور كافه" وهذا احد النصوص من النصوص المتفلسفة.

- بل ان بعض المتفلسفة يرى ان ظواهر النصوص قد لا تطابق الحقيقة الفلسفية، وان الانبياء قصدوا افهام العامة بما يناسب مداركهم، ولو كان الظاهر في نفس الامر غير مطابق للحقيقة، فالوحي عندهم ليس مصدراً مستقلاً للمعرفة، ربما يكون اداه عندهم اداه تربوية او سياسيه او أخلاقية.

- ولهذا فان مساله تعارض العقل والنقل لا ترد اصلا على المتفلسفة لانهم حسموا المسألة ابتداءً بإلغاء احد طرفي المعادلة، فالعقل الفلسفي عندهم هو الحاكم، والوحي تابع، او هو مجرد رمز.

- اما قانون المتكلمين فمختلف فهم يقرون بالنبوات ويثبتون صدقها اجمالا، ويجعلون النقل طريقا معتبرا للمعرفة، ومن هنا تنشا المشكلة عندهم.

- فبحث التعارض فرع عن الاقرار بالطريقين معا، ولهذا السبب تحديدا كان خطاب ابن تيميه في درء تعارض العقل والنقل موجها الى المتكلمين ابتداءً واصاله، فهو يخاطب من يدعي الاسلام ومن يقر بالنبوة. ثم يضع قانونا يؤدي في نظره الى اضعاف دلاله الوحي.

- و بوضوح تام يستحضر ابن تيميه هذا التفريق بين المقامين المقام الفلسفي والكلامي.

فمثلا في ١/ ١٧٦ يقول ابن تيميه:" فنحن في هذا المقام انما نخاطب من يتكلم في تعارض الأدلة السمعية والعقلية ممن يدعي حقيقه الاسلام من اهل الكلام الذين يلبسون على اهل الايمان بالله ورسوله، واما من افصح بحقيقه قوله وقال ان كلام الله ورسوله لا يستفاد منه علم بغيب ولا

تصـــديق بحقيقه ما اخبر به ولا معرفه بالله واسمائه وصـــفاته وافعاله وملائكته وجنته وناره وغير ذلك فهذا لكلامه مقام اخر" وفي ١/ ١٨٠ يقول:" لا يخلو الشخص اما ان يكون مقرا بخبر نبوه الانبياء واما ان يكون غير مقر، فان كان غير مقر بذلك لم نتكلم معه في تعارض الدليل العقلي والشـــرعي، فان تعارضـهما انما يكون بعد الاقرار بصحه كل منهما لو تجرد عن المعارض، فمن لم يقر بصحه دليل عقلي البته لم يخاطب في معارضه الدليل العقلي والشرعي، وكذلك من لم يقر بدليل شرعي لم يخاطب في هذا التعارض"

- اذا **الكتاب يتحرك داخل الدائرة الإسلامية، وداخل النزاع الكلامي الداخلي**، وهذا الحس المنهجي في التمييز بين المشروع الكلامي والمشروع الفلسفي كما رأينا في هذين النصين وغيرهما قاد الى تقديم مدخل منهجي مهم مطلع الكتاب في المجلد الاول قبل ان يناقش القضـية وهي قضـية تعارض العقل والنقل.

- والحقيقة ان **ابن تيميه قدم مدخلا منهجيا مهما شــرح فيه اصــول المناهج في عصــره تجاه نصــوص الوحي**، فهو لم يبدأ مباشــره بنقض القانون، بل صـنف تلك الاصـول المنهجية في منهجين كبيرين:

المنهج الأول: طريقه التبديل وهي على نوعين: طريقه التخييل وهم الفلاســـفة. وطريقه التحريف والتأويل وهم المتكلمون.

والمنهج الثاني طريقه التجهيل وهم المفوضـــة الذين يرون ان النصـــوص لا تفهم وان معانيها مجهولة وهذا تجدونه في ١/٨-٢٠.

-وهذا التصنيف لهذه الاصول الفكرية في عصره ليس عرضا تاريخيا فحسب، بل هو تمهيد لنقد قانون التأويل الاشعري تحديدا.

- ولتحديد هدف الكتاب بعد هذا المدخل المنهجي شـرع ابن تيميه ابتداء في موضـع مبكر في الكتاب في عرض القانون الاشعري وتلخيصه وثم تفكيكه في صفحه ٧٨

- **القانون الذي اســـتهدفه هو الصـــيغة التي بلغت ذروتها عند فخر الدين الرازي في كتابه اســاس التقديس**، وهذه الصـيغة التي وصـلت عند الرازي في مسـاله العلاقة بين العقل والنقل لم تولد فجاه.

بل مرت بمراحل في المدرسة الاشعرية بوادرها عند ابي بكر الباقلاني ثم تطورت عند ا امام الحرمين الجويني ثم اكتملت عند ابي حامد الغزالي حتى انتهت الى صياغتها الكلامية والفلسفية المركبة عند الرازي. وهذه هي الصيغة التي افتتح بها ابن تيميه كتابه ثم شرع في تفكيكها تفكيكا منهجيا.

خلاصه هذا المحور:

نقول الهدف الرئيس لكتاب درء تعارض العقل والنقل هو نقد القانون الكلامي الذي قرر امكان التعارض ووضع آلية جاهزة لحله بتقديم العقل وتأويل النقل، فالكتاب يتحرك داخل النزاع الكلامي الاسلامي لا داخل النزاع الفلسفي المحض.

المحور الثاني: التشكل التاريخي لإشكاليه تعارض العقل والنقل حتى الذروة الرازيّة:

ما دمنا بصـدد رسـم مدخل منهجي لهذا الكتاب، فلا يمكن ان نتجاوزه دون ان نمر ولو مرورا عابرا على السـياق التاريخي الذي تشـكلت فيه مسـالته، لان **كتاب درء تعارض العقل النقل ليس نصا ولد في فراغ، ولا مشروعا منفصلا عن تاريخه، بل هو استجابة نقديه لمسار طويل من التطور الفكري.**

– بل يمكن ان نقول بدقه: السياق التاريخي لمساله الكتاب هو السياق التاريخي للكتاب نفسه؛ ففهم هذا السياق هو فهم لمسوغات وجود هذا الكتاب.

–فاذا رجعنا الى الحقل الكلامي نجد ان **البذرة الاولى لفكره هذا القانون وهي اصـاله العقل ومركزيته في علاقته بالنقل = ظهرت عند المعتزلة،** وتجلت هذه الفكرة مبكرا في الحوار الشهير الذي جرى بحضره الخليفة المأمون بين بشر المريسي وابي الهذيل العلاف حيث طلب ابو الهذيل من بشر ان يقدم قاعده مرجعيه يرجع اليها عند الاختلاف فقال بشـر: القياس، ويقصـد به القياس العقلي. فأجابه ابو هذيل قال: الحق يتبين بالمقاييس عند ذوي الالباب.

– هذه اللحظة وان بدت عابره في ظاهرها تمثل تحولا منهجيا عميقا؛ فان النزاع انتقل من مستوى الاحتجاج بالنصوص الى مستوى تحديد القاعدة المرجعية الحاكمة للنصوص.

– يعني لم يعد السؤال ماذا قال النص؟ بل اصبح السؤال: ما الاصل الذي نحتكم اليه عند النزاع؟ وهنا هنا تبدا ملامح نظريه جديده في العلاقة بين العقل والوحي.

– **ثم تطورت هذه الفكرة عند القاسم ابن ابراهيم الرسي** الزيدي المعتزلي في كتابه اصول العدل والتوحيد وهو من علماء القرن الثالث الهجري المتوفى سـنه ٢٤٦ تقريبا يعني مبكرا في سـياق تشـكل هذا القانون، فالرسـيّ في هذا الكتاب قرر ان الحجج ثلاث العقل والكتاب والرسـول ثم قال عباره شديده الدلالة قال:" العقل أصل الحجتين الاخيرتين لانهما عرفا به ولم يعرف بهما" وهنا يتبلور جانب مهم من النظرية، فالعقل ليس مجرد اداه لفهم الوحي، بل هو أصـل معرفي سـابق يتوقف عليه ثبوت الوحي نفسه.

– وهذا التطور يمثل خطوه ابعد من مجرد استعمال العقل في الفهم الى جعله اساسا لإثبات أصل النقل.

– ومن اللافت ان ابن تيميه قد اشـار الى هذا السـياق التاريخي حيث رأى ان اول بروز حقيقي لإشـكالية التعارض المنهج كان في اواخر عصـر التابعين عند ظهور فرقه الجهمية، لا سما بعد احتداد شوكته في اوائل القرن الثالث، واشـار الى ان **الفرق الاولى كالشيعة والمرجئة والقدرية لم يكن عندهم مشـروع منهجي متكامل لمعارضــه النصــوص بالعقل، بل كانت معارضــتهم تقوم على معارضــه نصوص بنصوص، لا على قانون عقلي كلي**، هذا اشار اليه في المجلد ٥ /٢٤٤ من الدرء، فأشار في هذا النص الى جزء من السياق التاريخي لهذه المسألة.

– وهنا ينبغي ان ننبه الى فرق مهم وهو ان وقوع معارضــه جزئيه شــيء، وقوع معارضــه للوحي جزئيه شيء، وتأسيس قانون كلي للمعارضة شيء اخر.

–فمنذ نزول الوحي وجدت معارضات عقليه سطحيه كما في اعتراض بعض المشركين على قضية البعث كما حكى القران عنهم، لكن هذه كانت اعتراضـات ومعارضـات بدائية، لم ترتقي الى مستوى نظريه منهجيه ولا الى قانون كلي للتأويل.

– بعد هذا **تطورت المعارضـة حتى بلغت صـوره أكثر نضـجا عند القاضـي عبد الجبار** الذي قرر قاعده واضــحة "كل ما يرد في الكتاب من نصــوص يجب ان يعرض على ما ثبت في العقل فما وافق العقل أُخذ بظاهره وما خالفه أوّل".

–وهنا تتشكل البنية الكاملة لما سيعرف لاحقا بقانون التأويل، فلم يعد الامر اجتهادا في مساله بل أصبح قانونا منهجيا عاما، ثم انتقل هذا القانون بصيغته المعدلّة الى المدرسة الاشعرية.

– **فنجد بداياته عند ابي بكر الباقلاني** حيث تتجلى فكره اصـاله العقل وجعل الأدلة السـمعية فروعا لأدله العقل عنده.

– **ثم كثف الصـــياغة امام الحرمين الجويني**، وقرر ان النص إذا لم يكن مســـتحيلا عقلا وثبت بطريق قطعي وجب قبوله والا فلا يقطع به.

– **ثم جاء تلميذه ابو حامد الغزالي** في مجموعه من كتبه ومنها كتابه الاقتصـاد في الاعتقاد فقرر بوضـوح اذا قضـى العقل بالاسـتحالة وجب تأويل النص. غير ان الغزالي كان ينطلق من مقدمه مهمه وهي انه لا يمكن ان يشتمل السمع على قاطع يخالف المعقول.

- **ثم بلغت الصـــياغة المنهجية لقانون التعارض او التأويل ذروتها عند الرازي** وهذا في كتابه اساس التقديس الرازي يقرر قانونا كليا حاسما: اذا تعارض دليل عقلي قطعي مع ظاهر نقلي فلا يمكن ردّ العقل لان صحة النقل نفسه متوقفة على اثبات العقليات.

-ثم اضاف خطوه أخطر وهي ان الدلالات اللفظية لا يمكن ان تكون قطعيه؛ لان القطع يتوقف على مقدمات كثيره كلها ظنيه = والنتيجة انه لا يوجد تعارض بين قطعيين؛ لان النقل في حقيقته لا يصل الى القطع.

- وهنا نصـــل الى اقصـــى درجات تغريب العقل، بل الى الاقتراب من الموقف الفلســفي الذي يقصي النقل من دائرة المعرفة ومن دائرة القطعية.

- عند هذه الذروة وعند اكتمال هذه الصياغة الرازية لقانون التعارض ظهر مشروع ابن تيميه في كتابه درء تعارض العقل والنقل، لكن لم يكن كتابا او ردا جزئيا ولا اعتراضـا عابرا، بل كان اسـتجابة لمحصله مسار تاريخي كامل.

- **فالكتاب واجه الذروة المنهجية للقانون، ولم يواجه ابتداءً بداياته.**

- ومن هنا نفهم حجم هذا المشـروع النقدي ونفهم كذلك لماذا جاء الكتاب بهذا الامتداد وهذا النفس التحليلي الطويل، وهذا التفكيك الدقيق؛ لإنه لم يكن يردّ على مسـاله واحده، بل على مسـار تاريخي بلغ نهايته النظرية عند الرازي.

- وهذا هو السياق الذي لابد ان نستحضره إذا أردنا ان نقرا الكتاب قراءه واعيه.

المحور الثالث: البنية الداخلية لخطه النقد:

البنية الداخلية لخطه النقد من الجواب الاجمالي الى التفكيك التفصـــيلي، فاذا جاوزنا الســـياق التاريخي ووصلنا الى بنيه الكتاب نفسـه، فان السؤال المنهجي الذي ينبغي ان نطرحه هو **كيف مارس ابن تيميه نقده لقانون التعارض؟**

ما الخطة التي بنى عليها مشروعه التفكيكي والبنائي معا؟

لإننا كما تعلمون لسـنا امام رد ارتجالي، ولا امام تعليقات متفرقه، بل امام مشـروع نقدي طويل النفس، شديد التنظيم، بالغ الوعي ببنيته.

ويمكن القول ان **تفكيك ابن تيميه لمفاهيم قانون التعارض جرى على درجتين** واضـــحتين، بل أن ابن تيميه صرح بذلك:

الدرجة الاولى الجواب الإجمالي: فابن تيميه لما ذكر اســتعرض الصــيغة الرازية لقانون التعارض بدا يفككه بدرجتين او بجوابين بجواب اجمالي وبجواب تفصيلي.

الجواب الاجمالي تجدونه في ١/ ٧٨ - ٨٦ وهذا الجواب الاجمالي المنهجي الذي اســـتهدف به ابن تيميه تفكيك مقدمات القانون في بنيته في تقديري من اهم اوجه النقد في الكتاب لماذا؟

لإنه يمثل نقطه التحول من الهدم الى البناء، ففي هذا الموضع لا يشتغل ابن تيميه على الفروع بل يذهب مباشـــره الى الأســـس، ويتناول الأســئلة الكبرى. هل يمكن اصـــلا تعارض القطعيات؟ هل الوصف بعقلي او نقلي وصف مؤثر في الصحة؟ هل النقل كله ظني كما يقرر الرازي؟ هل العقل كله قطعي كما يفترضـــه القانون؟ فهذا الجواب الاجمالي يمثل المدخل الحقيقي لبناء او لإعادة بناء العلاقة بين العقل والنقل على اسسه الصحيحة، ومن هنا يبدا التأسيس.

الدرجة الثانية وهو الجواب التفصـــيلي: والمراد الاوجه الاربعة والاربعون، فقد تناول ابن تيمية نقد القانون الرازي من ٤٤ وجها، وهذه الاوجه ليســت مجرد عدد، بل هي مســارات تحليليه متعددة تتناول القانون من زوايا مختلفة: من جهة مقدماته، ومن جهة لوازم، ومن جهة اثاره، ومن جهة تطبيقاته.

– **هذه الاوجه بدرجتيها الاجمالية والتفصيلية يمكن ردها الى ثلاثة اوجه كليه**، وهذه نقطه مهمه جدا، وهذا التقسيم الكلي مهم جدا لفهم بنيه الكتاب.

الوجه الكلي الأول: إعادة البناء المنهجي للعلاقة بين العقل والنقل.

وهذا هو الوجه التأسيسي، ففيه لا يكتفي ابن تيميه بالنقد بل يعيد بناء العلاقة على اسس جديده، ويتضمن هذا الوجه نقضا جدليا لقانون التأويل، وبيان للوازم المنهجية الفاسدة المترتبة عليه، وتأسيس اعاده بناء العلاقة بين العقل والنقل، ويدخل في هذا الوجه الجواب الاجمالي السابق على مقدمات القانون.

–ويدخل فيه كذلك عدد من الاوجه التفصيلية مثل الوجه الاول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والتاسع والعاشر والثاني عشر والخامس عشر وبعض الاوجه والسادس عشر، وكذلك التاسع والعشرون وهذا من اهمها في الجزء الخامس.

–فهذه الاوجه تمثل بنيه المنهجية للكتاب، تؤسس وتناقش وتبين وتكشف.

الوجه الكلي الثاني: الاصل الايماني العلمي.

وهذا وجه بالغ الاهمية وغالبا ما يغفل في القراءة السطحية، **وابن تيميه لا يكتفي بالتحليل العقلي، بل يقرر اصلا ايمانيا معرفيا**: انه إذا ثبت صدق الرسول امتنع ان يُعارض خبره بعقل صريح. فهذا الوجه يقوم على التصديق الايماني البرهاني بالوحي واثبات صدق النبوة، وقد اشار الى اليه في مطلع الكتاب في حديثه عند فساد المعارض العقلي ٢١/١ فقال: " وفساد ذلك المعارض قد يعلم جمله وتفصيلا اما الجملة فانه من امن بالله ورسوله ايمانا تاما وعلم مراد الرسول قطعا تيقن ثبوت ما اخبر به وعلم ان ما عارض ذلك من الحجج فهي حجج داحضة ...الخ" ويدخل في هذا الاصل الايماني عددٌ من الاوجه مثل الوجه الثالث عشر والرابع عشر والثاني والعشرين والثالث والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين والثالث والثلاثين والرابع والثلاثين والحادي والاربعين .

– هذا الوجه يخاطب المؤمن ويؤسس يقينه ويمنع اهتزازه امام دعاوى التعارض.

الوجه الكلي الثالث: النقض التفصيلي للعقليات المعارضة

هذا الوجه هو **الوجه الاجرائي** الضـــخم في الكتاب، وهذا هو الذي اعطى الكتاب حجمه الكبير.

– في هذا الوجه لا يناقش القانون نظريا فقط، بل يدخل في صلب العقليات التي زُعم انها قطعيه فيحللها ويفكك مقدماتها ويكشف تناقضاتها.

–ومن أشهر المسائل التي ناقشها ابن تيميه في هذا الوجه: الاستدلال بحدوث الحركات والاعراض ومساله التسلسل ومساله قيام الافعال الاختيارية ومساله علو الله على خلقه وتصورات ابن سينا وفخر الدين الرازي وابن رشد في مسائل فلسفيه كبرى.

– ويدخل في هذا الوجه الكلي بعضُ الاوجه مثل الوجه الحادي عشر والسابع عشر والثامن عشر – والتاسع عشر وهو متعلق بإبطال الاستدلال بحدوث الحركات والاعراض وفيه استطرادات طويله في مناقشه بعض المسائل كمساله التسلسل ومساله قيام الافعال الاختيارية.

– هذا الوجه (١٩) بدأ من ١/ ٣٢٠ الى اخر المجلد الرابع = يعني ثلاث مجلدات وجزء من المجلد الأول.

– كما ان هذا الوجه الكلي تضمن الوجه الثالث والأربعين وفيه مناقشات تفصيليه لمساله علو الله عز وجل على خلقه، وفيه تتبع نقدي لابن سينا والرازي في انكار تلك الصفة. وهذا الوجه بدا من اول ٣/٦ الى ١٤٠/٧

–وكذلك هناك الوجه ال (٤٤) فيه مناقشات طويله طريقه الاعراض التركيب الاختصاص وفيه استطرادات طويله جدا في مناقشه مسائل عده منها وجوب النظر واثبات وجود الله عز وجل وانكار صفتي العلم والإرادة. وهذا الوجه ال ٤٤ بدا من ١٤١/٧ الى اخر الكتاب المجلد العاشر = أربع مجلدات الا شيء يسير.

–وهذه الاوجه الثلاثة الكلية الجامعة للأوجه التفصيلية والوجه الاجمالي الذي رد بها ابن تيميه على القانون اشار إليها في مطلع الوجه الثالث في المجلد السادس فيقول:" واما طريق الرد عليهم فلنا فيه مسالك:

الاول ان نبين فساد ما ادّعوه معارضا للرسول صلى الله عليه وسلم من عقلياتهم" – هذا الوجه الثالث اللي هو النقض التفصيلي للعقليات – وهو اطول الوجوه

ثم قال: " الثاني ان نبين ان ما جاء به الرسول معلوم بالضرورة من دينه او معلوم بالأدلة اليقينية وحينئذ فلا يمكن مع تصديق الرسول ان نخالف ذلك وهذا ينتفع به كل من امن بالرسول" وهذا في الاصل الايماني.

ثم قال متابعا:" الثالث ان نبين ان المعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل لا يناقضه، اما بان ذلك معلوم بضرورة العقل واما بانه معلوم بنظره، وهذا اقطع لحجه المنازع مطلقا سواء كان في ريب من الايمان بالرسول وبانه أخبر بذلك او لم يكن كذلك، فان هؤلاء المعارضين منهم خلق كثير في قلوبهم ريب في نفس الايمان بالرسالة وفيهم من في قلبه ريب في كون الرسول اخبر بهذا " وهذا يمكن ان نقول انه البناء المنهجي وهو الوجه الاول كذلك الاجمالي اللي ذكره.

– هذا التقسيم من ابن تيميه يؤكد ان **الاوجه ال ٤٤ ليست مبعثره بل هي موزعه بين تأسيس منهجي وتأكيد ايماني معرفي ونقض تفصيلي للعقليات المتوهمة**

– وخلاصه هذا المحور ان نقول: نحن امام خطه نقديه مركبه تبدأ بجواب اجمالي يؤسس، ثم تتفرع الى ٤٤ وجها تفصيليا، ثم يمكن ردّ هذه الاوجه الى ثلاثة اوجه كليه جامعه، وهذا يكشف لنا ان درء تعارض العقل النقل ليس مجرد رد بل هو مشروع نقدي بنائي طويل النفس يجمع بين التأسيس والهدم والتفكيك والبيان الايماني والنقض الجدلي والتحليل التفصيلي.

– وهنا تتجلى عبقريه البناء في هذا الكتاب وتتضح عظمه المشروع الذي اراد ابن تيميه ان يقيمه في مواجهه الذروة الرازيّة لقانون التعارض.

المحور الرابع وهو من اهم المحاور: الواقعية النقدية والروح المنهجية الحاكمة لمشــــروع درء التعارض:

ما الروح المنهجية الحاكمة لنقد ابن تيميه في كتابه درء تعارض العقل والنقل؟

إذا أردنا ان نلخص **الروح الحاكمة لكتاب درء تعارض العقل والنقل في عباره جامعه فإننا نستطيع ان نسميها بالواقعية النقدية.**

– وهذا المصطلح وان لم يستعمله ابن تيميه بلفظه، غير ان مضمونه يسري في الكتاب كله، بل يسري في تراثه النقدي عموما.

لكن ما المقصود بالواقعية النقدية؟

المقصود اختصارا – دون تحليل المصطلحات الفلسفية وتتبع لمسارها التاريخي – **المراد به اسلوب تحليلي منهجي يقوم على إنزال المفاهيم من تجريدها الكلي الى واقعها التفصيلي.**

تفكيك المجملات الى عناصرها – الاستفصال عن الجزئيات – ورفض الالفاظ المشتبهة قبل تحرير معانيها – ومحاكمه الدعاوى الى واقعها المعرفي لا الى صورتها الذهنية.

فمنهج الواقعية لإنها لا تتعامل مع عقل ونقل بوصفهما عنوانين كليين مجردين، بل تتعامل مع الدلائل الواقعية في درجاتها: درجات النقل ودرجات العقل، وهي نقديه لإنها لا تقبل اي دعوى حتى تحلل هذه الدعوى، ولا تسلم بمقدمه حتى تفكك هذه المقدمة، ولا توافق على لفظ مجمل حتى يبين معناه.

– هذه الروح لم تظهر في درء تعارض العقل والنقل فقط، بل هي **السمة الغالبة على مشروع بن تيميه بأكمله، فنجدها مثلا في نقده للمنطق المنطق الارسطي فلم يهاجم المنطق بوصفه علما بل حلل بنيته وناقش تعاريفه وكشف عن مقدماته، ونجدها كذلك في تفكيكه المصطلحات الفلسفية والكلامية والصوفية.** فكان ابن تيميه دائما السؤال: ماذا تقصدون بهذا اللفظ؟ ما المعنى الذي تحت هذا المصطلح هل هو حق ام باطل ام محتمل؟ هذا هو ما اريد به من مصطلح الواقعية النقدية.

-صاغها ابن تيميه في نصيحة علميه واضحة حين قال في الدرء ١/ ٢٩٦:" ولهذا يجب على من يريد كشف ضلال هؤلاء وامثالهم ان لا يوافقهم على لفظ مجمل حتى يتبين معناه ويعرف مقصوده ويكون الكلام في المعاني العقلية المبينة، لا في معان مشتبهه بألفاظ مجمله"

– هذه نصيحة ابن تيمية وهذا هو منهجه وطريقته في النقد.

– ومن اللافت لمن يقارن ان هذه الآلية التحليلية هي نفسها التي شددت عليها الفلسفة اللغوية في القرن العشرين، فالفيلسوف جون سير مثلا، يؤكد على ان كثيرا من المشكلات الفلسفية تنشا من سوء تحليل السؤال ذاته، والواجب قبل الإجابة هو تحليل المفاهيم، وتفكيك الفروض المسبقة، وكشف المغالطات الكامنة في تركيب السؤال. وهذا من حيث المنهج ما نجده حاضرا بقوه عند ابن تيميه.

– هذه الروح المنهجية الحاكمة للكتاب، ولها تجليات كثيره جدا جدا في الكتاب، ولكنني سأمثل بمثالين هما أقرب الى المسألة حتى نتبين كيف طبق ابن تيميه هذه المنهجية:

المثال الاول تحليله لبِنْية طرفي القانون العقل والنقل:

في القانون قانون التعارض الاشعري – لا سيما في صيغه الرازيه – يتعامل مع العقل والنقل بوصفهما كيانين كليين متقابلين، لكن ابن تيميه يقف منهما موقف المستفصل المتسائل، لا يناقش عقلا مجردا، لا يناقش نقلا مجردا، بل يسال اي عقل واي نقل وفي اي درجه وباي مستوى من القطع او الظن؟ فالعقل عنده ليس رتبه واحده ولا النقل رتبه واحده، فلا يصح ان نبحث التعارض من جهة كونهما من جهة كون العقل والنقل طريقين فحسب؛ لان وصف الدليل بانه عقلي او نقلي وصف محايد لا يقتضي صحة ولا فسادا. فالصحة تتعلق بماذا؟ تتعلق بدرجه الدليل لا بنوع الدليل.

-ومن هنا ينتقل البحث من مستوى الطريق الى مستوى الدرجة المعرفية: درجات العقل، درجات النقل.

– ابن تيميه لما اراد ان يحلل هذا القانون قرر ان النقل يشتمل على قطعيات، وعلى ظنيات، وعلى اكاذيب. – نقصد بالنقل: الوحي، والاكاذيب بمعنى: الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والعقل يشتمل على قطعيات وظنيات واغلوطات.

-وهنا ينقلب المشهد تماما، فلم يعد السؤال هل العقل يعارض النقل؟ بل أصبح السؤال اي نوع من العقل؟ واي نوع من النقل؟ اين يمكن ان يمكن وقوع التعارض؟

– فاذا سـألنا عن مثلا عن تعارض الاغلوطات العقلية مع الاكاذيب النقلية أجبنا بانها تطرح كلها.

– وإذا سئلنا مثلا عن تعارض الاكاذيب والاغلوطات مع الظنيات كان الجواب بتقديم الظنيات سواء كانت نقليه ام عقليه.

– وإذا سئلنا عن تعارض الظني مع قطعي أجبنا بتقديم القطعي سواء كان عقليا ام نقليا.

–وإذا سئلنا عن تعارض ظني مع ظني أجبنا بالتوقف حتى يرجع الى الترجيح بينهما؛ فقد يُرجح الظن العقلي وقد يرجح الظن النقلي، ونقدم الراجح منهما لأجل انه راجح، لا لأجل انه عقلي أو نقلي.

واذا سئلنا عن تعارض القطعيين سيكون جوابنا على غرار هذه المنهجية الواقعية النقدية نقول: لا يمكن، ونقول ان هذا السؤال سؤال زائف.

لماذا زائف ؟ لإنه يفترض صوره ممتنعه عقلا وهي تعارض القطعيات ، فكل البشر لا يمكن ان يتصوروا تعارض القطعيات، لان تجويز تعارض القطعيات يلزم منه الجمع بين النقضين، وهذه الصورة الممتنعة يقرر ابن تيميه بان الظن لا يرفع اليقين، و في بيانه لهذا التحليل الواقعي فيقول في ٧٩/١ :" وان كان احد الدليلين المتعارضين قطعيا دون الاخر فانه يجب تقديمه باتفاق العقلاء سواء اكان هو السمعي او العقلي فان الظن لا يرفع اليقين، واما ان كانا جميعا ظنيين فانه يُصار الى طلب ترجيح احدهما فايهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعيا او عقليا، فاذا افترضنا وجود دليل عقلي قطعي يعارض ظاهر نص ضمني وجب تقديم القطعي.

– هذه واقعيه نقديه متجردة عند ابن تيميه، فلا يحابي النقل لأنه نقل، ولا يحابي العقل لإنه عقل ، ففي لغة واضحة يقدم ابن تيميه الدليل العقلي القطعي على ظاهر النص النقلي اذا ثبتت تعارضهما –وفي جواب الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية وفي نص عجيب يقول ابن تيميه " وكذلك لو افترضنا وجود دليل عقلي قطعي يعارض ظاهر الأدلة الشرعية التي ليست قطعيه لوجب تقديم القطعي على الظني ولجزمنا بان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرُد بكلامه ما يعلم مثلنا وامثالنا انتفاءه وعقولنا اقل من ان يقال هي دون عقله"

– هذا المنهج يورث تريثا علميا واستفصالا منهجيا، وهذا قرره ابن تيميه ٧/٤٠ و معنى كلامه انه إذا وجد تعارض بين العقل والنقل فلا يخلو من أحد امرين: اما فساد النقل سواء كان في سنده او في دلالته، واما في فساد الدلالة العقلية لخلل في مقدماتها، وهنا يعاد النزاع الى موضعه الحقيقي لا الى عنوان مجم.

–في بيان هذا يقول ابن تيميه في الرد على المنطقيين ص٤١٨ "متى تعارض في ظن الظان الكتاب والميزان النص والقياس الشرعي او العقلي فأحد الامرين لازم، اما فساد دلالة ما احتج به من النص اما بان يكون ثابتا عن المعصوم، او لا يكون دالا على ما ظنه، او فساد دلالة ما احتجّ به من القياس سواء كان شرعيا او عقليا بفساد بعض المقدمات او كلها لما يقع في الاقيسة من الالفاظ المجملة المشتبهه" فهذا مثال على الواقعية النقدية او كيف تتحرك العقلية النقدية عند ابن تيميه في تفكيك هذا القانون.

المثال الثاني وهو مهم تحرير مفهوم التعارض:

الواقعية النقدية التيمية لم تقتصر على تحرير البنية، بل شملت تحرير مفهوم التعارض نفسه.

– فابن تيميه يبين ان **التعارض المتصور بين العقل والنقل ثلاثة أنواع**، وهذا تحرير مهم جدا في هذه القضية:

أولا: التعارض الزائف.

وهو توهم تعارض النصوص مع قطعيات العلوم الطبيعية او الرياضية وهذا في نظره ليس محل النزاع اصلا؛ لان مورد النزاع هو في الغيبيات وفي اسماء الله وصفاته وما بعد الموت، اما العلوم الطبيعية فيقرر ابن تيميه وهو حق: لا يُعلم تعارض نص صحيح مع حقيقة علمية قطعية، بل الحقائق تشهد للوحي. واشار لهذا الوجه او لهذا المفهوم في الدرء ١/١٤٨ و ١٥١.

النوع الثاني: التعارض الحقيقي.

وهو الذي يقتضي تكذيب الوحي، وهذا لا قائل به، الا من كان خارج دائرة الإسلام، فلا الاشاعرة ولا المعتزلة ولا غيرهم من المتكلمين يقولون بهذا النوع من التعارض الذي يطعن في صدق الوحي، ولذلك هم أنفسهم لجؤوا الى مثل هذا القانون لدفع هذا النوع من التعارض عن نصوص الوحي.

– وصـياغاتهم لهذا القانون ومنهم الرازي لا تفارقها عبارات مثل: تعارض ظواهر النقل مع قواطع النقل.

–ولا ريب ان ابن تيميه كان مدركا لمناط الخلاف بينه وبين المتكلمين في التعارض ، ففي الدرء صفحه ١/١٨٠ يقول:" لا يخلو الشخص اما ان يكون مقرا بخبر نبوه الانبياء واما ان يكون غير مقرّ، فان كان غير مقر بذلك لم نتكلم معه في تعارض الدليل العقلي والشـرعي فان تعارضـهما انما يكون بعد الاقرار بصحه كل منهما لو تجرد عن المعارض، فمن لم يقر بصحه دليل عقليا البته لم يخاطب في معارضه الدليل العقلي والشرعي، وكذلك من لم يقر بدليل شرعي لم يخاطب في هذا التعارض" فاصلا التعارض الحقيقي بمعنى تكذيب الوحي، فالمتكلمون لا يرون ان العاقل يعارض النقل في ذاته.

النوع الثالث: التعارض الظاهري.

وهو مناط الخلاف في آلية حله، وفي نتائجه، لا في تصـور إمكانه، فانه يمكن تصـور التعارض الظاهري بين العقل والنقل.

–فابن تيميه يجوّز بناء على تفصـيله والتحليل السـابق تعارض ظاهر نص نقلي مع دليل عقلي، لكنه يخالف قانون المتكلمين في طريقه الحلّ، وفي منهجيته.

– فاذا كان للمتكلمين جواب جاهز لحلَّ ذلك التعارض بتقديم الدليل العقلي على الدليل النقلي وتأول دلاله النقل، فان ابن تيميه بواقعيتة النقدية لا يقترح جوابا معلباً جاهزا بل يطرح الاسـئلة الاستفصاليه المنهجية مثل: هل حقاً ان ظاهر هذا النص النقلي يُعارض الدليل العقلي القطعي؟ وهذا في الاسـتفصـال عن المعنى الظاهري، ثم يسـتفصـل عن الدرجة او الرتبة المعرفية العقلية: هل حقاً ان دلاله هذا الدليل العقلي قطعيه؟ ثم يستفصل عن درجه الصحة: ما درجه صحه الدليل النقلي؟ ثم يستفصل عن الدرجة والرتبة المعرفية النقلية: ما درجه دلالة هذا الدليل النقلي؟

– فتفحص تلك الاسـئلة هو الذي يقود الى معرفه واقعيه الدليل، او الدليلين، فلا ننحاز الى الدليل النقلي لإنه نقلي.

– بل ان ابن تيميه كما انه يحذر من رفض دلاله الأدلة النقلية الصـحيحة لمجرد مخالفتها للعقل دون اختبار الدلالة وفحصـها، كذلك **يحذر من رفض دلاله الأدلة العقلية الصـريحة لمجرد توهم معارضتها لدلائل النقل.**

– وكما ان ابن تيمية ينكر على المتكلمين، فينكر على غير المتكلمين الذين يُغالون في جانب النقل ويردون الدلائل القطعية، بمجرد ما يرونه معارضا لدلاله النقل، **ولذلك عاب على بعض الجهال المنتسبين للطريقة الشرعية ممن دخل في مناظرات مع خصومه ردهم القضايا العقلية الصريحة دون تامل في دلاله القطعية لمجرد توهم مخالفتها للنقل.**

–مثل بعض القضايا الرياضية والطبيعية كتعيين وقت الكسوف والخسوف وكرويه الافلاك ووجود السحاب من البخار. ينظر: الرد على المنطقيين فقد ضرب بعض الأمثلة على ذلك في صفحه ٣١٩ ومن امثلة ذلك: **ابطال بن تيميه رواية الواقدي في تعيين موت ابراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم** حيث روى انه مات في العاشر الذي كسفت فيه الشمس، وردّ هذه الرواية وأبطلها لماذا؟ عمدته في ذلك انه اعتمد على الدلالة الفلكية القطعية التي تحيل وقوع الكسوف في غير وقت الاستسرار فالشمس لا تكسف في العاشر وإنما تكسف في وقت الاستسرار ١٣ ١٤ ١٥.

كذلك بالدلالة الفلكية **أبطل ابن تيميه افتراض اجتماع صلاه العيد وصلاه الكسوف** وهذا الافتراض افترضته الشافعية، ويراه ابن تيميه افتراض ذهني لا واقع له، ولكن بعض اصحاب الشافعي جوزوا وقوعه، وهذه مكابرة على حد وصف ابن تيميه لها، والعجيب تصويب ابن حجر وقوع مثل هذا الافتراض، وفي الحقيقة لا يمكن ان تجتمع صلاه العيد والكسوف، لان صلاه العيد في العاشر، والكسوف لا يمكن ان يحدث في اليوم العاشر.

خاتمه المحور: الواقعية النقدية عند ابن تيميه هي تحليل قبل الحكم، واستفصال قبل الترجيح وتفكيك قبل القبول او الرد، محاكمه للمفاهيم الى واقعها لا الى صورها الذهني.

– ومن دون استحضار هذه الروح لا يمكن ان نقرا درء تعارض العقل والنقل قراءه صحيحه لان الكتاب ليس مجرد رد، بل هو تمرين منهجي عميق على كيف نفكر، وكيف نحلل، وكيف نمنع التناقض قبل ان نقع فيه.

المحور الخامس: دلاله العنوان وكشف البنيه البنائيه للمشروع:

من المسائل التي تبدو في ظاهرها شكليه، لكنها في حقيقتها كاشفه عن روح المشروع ومنهجه: عنوان الكتاب.

– فالعنوان ليس مجرد بطاقة تعريف بل هو عتبه النص الأولى، وهي التي تكشف عن زوايا النظر وتلخص مقصد المؤلف، واحيانا تفصح عن الفارق الدقيق بين مشروع ومشروع.

– كتاب درء تعارض العقل والنقل ثبت له في النسخ عنوانان مشهوران:

الاول درء تعارض العقل والنقل وهو المشهور، والثاني موافقه صحيح المنقول لصريح المعقول، وكلا العنوانين مثبتان في الكتاب المطبوع بتحقيق محمد رشاد سالم غير ان الشيخ محمد رشاد سالم اختار الاول وهو درء تعارض العقل والنقل ليكون العنوان الرئيس وذكر لذلك اعتبارات ذكرها في مقدمته.

– لكن السؤال الذي أحب ان اطرحه عليكم بوصفنا نقرا الكتاب قراءه منهجيه وهو بناء على الروح النقدية التي شرحناها سابقا والمتمثلة في الواقعية النقدية وتحرير مناط تعارض وتفكيك بنيه العقل والنقل : اي العنوانين ادق تعبيرا عن مشروع ابن تيميه؟

العنوان الاول وهو درء تعارض العقل والنقل هذا هو عنوان عام، وهو في الحقيقة عنوان يشترك فيه مع خصومه للمتكلمين، فالمتكلمون ايضا يهدفون الى درء التعارض، وقانون التأويل نفسه وضع في تصورهم لرفع التعارض ولدرئه، فاذا كان الجميع يقول ندرأ التعارض، فما الذي يميز ابن تيميه عنهم؟

من هنا اقول هذا العنوان وان كان صحيحا من حيث المضمون، الا انه لا يبرز خصوصيه المشروع التيمي لماذا؟ لإنه يكتفي بفعل الدرء او المنع او الدفع، بينما مشروع بن تيميه تجاوز ذلك.

– اما العنوان الثاني فهو العنوان الرديف وهو موافقه صحيح المنقول لصريح المعقول فهذا العنوان في تقديري ادق واخص وأكثر انسجاما مع البنية الداخلية للكتاب، وأكثر كشفا عن روح المشروع وذلك ذلك لاعتبارين أساسيين:

الاعتبار الأول: البعد البنائي لا الدفاعي.

هذا العنوان لا يكتفي بفعل ســـلبي: الدرء، بل يقرر امرا ايجابيا وهو: الموافقة، فالكتاب ليس مجرد دفع دعوى التعارض، بل يقرر ان النقل الصحيح يوافق العقل الصريح، وهذا ينسجم مع مشروع ابن تيميه البنائي، فهو لا يقول لا تعارض، بل يقول هناك موافقه حقيقيه بين الطرفين اذا فهم على وجههما الصحيح.

- وهنا تظهر الفروق الدقيقة بينه وبين خصـــومه الذين يقولون: اذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وأوّلنا النقل، اما هو فيقول: العقل الصـــريح لا يمكن ان يناقض النقل الصـــحيح، فهو يعيد تعريف طرفي المعادلة، ثم يقرر نتيجة مختلفة.

- إذا العنوان الثاني يبرز خصوصيه المشروع.

و الاعتبار الثاني: انســـجام العنوان مع الواقعية النقدية التي و المنهجية التحليلية التي تمتع بابن تيميه.

- فان العنوان الثاني يشتمل على توصيفين دقيقين: صحيح المنقول، وصريح المعقول.

- وهذا التوصـيف هو لب الواقعية النقدية، فليس كل منقول صـحيحا، ولا كل معقول صـريحا وبهذا العنوان يدرج عنصر التحليل في قلب العتبة النصية الأولى، فهو لا يتكلم عن النقل بإطلاق، ولا عن العقل بإطلاق، بل عن النقل الصـحيح والعقل الصـريح، وهذا يختصـر التحليل الذي فصـله في الكتاب درجات النقل ودرجات العقل، والتفريق بين القطع والظن.

- فالعنوان نفسه يحمل المنهج، ومن هنا يمكن ان نلمح فرقا دقيقا بين مشروعين لابن تيميه:

-**المشـروع الاول** في كتاب درء تعارض والعقل والنقل وهو مشـروع نقد قانون التأويل مع تقرير موافقه العقل الصريح للنقل الصحيح.

المشـــروع الثاني في كتاب تلبيس الجهمية الذي يغلب عليه الطابع التفكيكي والتتبع الدقيق لمواضع التناقض ونقض الاقوال قولا قولاً.

- ففي تلبيس الجهمية يغلب عليه النقض التفصـــيلي، اما في درء تعارض العقل والنقل فيغلب عليه البناء المنهجي.

– ومع ذلك فكلا المشـــروعين يتجهان في عمقهما الى نقد تصـــور واحد بلغ ذروته عند فخر الدين الرازي الذي يمثل أعظم منظري المذهب الاشعري في طوره المتأخر.

خاتمه المحور: ان الوقوف عند العنوان دائما لا يكون وقوفا شـــكليا بل هو مدخل الى فهم روح الكتاب، ففي تقديري والعلم عند الله ان عنوان موافقه صـحيح المنقول صـريح المعقول ادق في التعبير عن مشروع ابن تيميه وأكثر انسجاما مع واقعيته النقدية واوضح في ابراز طابعه البنائي، اما عنوان درء تعارض العقل والنقل فهو يعبر عن أحد ابعاد المشـروع، لكنه لا يسـتوعب روحه كامله، وهنا تتجلى دقه القراءة، ان ننتبه حتى الى العتبة الاولى للنص لإنها احيانا تختصر فلسفه الكتاب كله.

المحور السادس: قراءات معاصره لكتاب درء التعارض اتجاهات ومقاربات نقديه:

القراءة العلمية الرصـــينة لا تقوم على العزلة، بل على الحوار، ولا على الاكتفاء بالنص، بل على وعيٍ بتاريخ تلقيه وتحليله.

-وكتاب درء تعارض العقل والنقل ليس نصـا تراثيا جامدا بل مشـروعا قابلا لإعادة القراءة قابلا للنقاش، قابلاً للنقد العلمي المنضبط.

- ومن لم يدخل هذا الكتاب في سياق الحوار والمعاصرة فقد حوله الى اثرٍ متحفيّ، لا الى مشروع معرفي حي، وهذا في تقديري بخلاف ما اراده ابن تيميه من كتابه.

- لذلك لا يمكن لاي باحث جاد ان يتناول كتابا بحجم درء تعارض العقل والنقل من غير ان يطلّع على ما كتب حوله من الدراسات الحديثة والقديمة.

- حســب اطلاعي من أبرز الدراســات الحديثة التي تناولت الكتاب وتناولت مشــكلته المركزية ثلاث دراسات رئيسه، لكل واحده منهاجها وزاويتها وافتراضاتها النظرية الأولى:

- دراسة شريف الطوبجي وعنوانها: موقف شيخ الاسلام ابن تيميه من قضيه العقل والنقل ترجمه اسامه عباس.

وهي دراســة تحليليه للكتاب سـعت الى التنقيب عن الاصـول الفلسـفية والمنهجية التي اعتمد عليها ابن تيميه في رســم العلاقة بين العقل والنقل، ومن الناحية المنهجية هي دراســة تحليليه داخليه تحاول ان تســتخرج البنيه النظرية التي يقوم عليها الكتاب، لا ان تكتفي بتتبع مســائله الجزئية ويمكن القول انها قدمت تحليلا علميا جيدا لبنيه العلاق بين العقل والنقل في فكر بن تيميه، وابرزت ملامح مشروعه النقدي بصوره منضبطة الى حد ما، غير ان الدراسة توسعت في استحضار السياقات العامة لموقف ابن تيميه من العقل والنقل خارج نطاق الدرء نفسـه، وهذا في تقديره توسـع محمود لان هدف الدراسة لم يكن تحليل الكتاب بوصفه نصا معزولا بل بوصفه تعبيرا عن مشروع فكري أوسع، ومن هنا فهي دراسة تأسيسية مفيدة تمهد لفهم الكتاب في سياقه المعرفي العام.

– اما الدراسة الثانية فهي دراسة **ياسر قاضي** عنوانها: **موافقه العقل للنقل عند ابن تيميه دراسة تحليليه لكتاب در التعارض ترجمه وتقديم عمرو بسيوني .**

وهذه دراسة تتخذ زاويه مختلفة، فهي تركز على الجدل المنهجي المحتدم بين المدرسة الاشعرية ممثله في فخر الدين الرازي لا سيما في كتابه تأسيس التقديس وبين ابن تيميه في درء التعارض، والدراسة تحاول ان تقرا الكتاب بوصفه ردا مباشرا على نموذج منهجي محدد، ثم تحلل الحل الذي اقترحه ابن تيميه، وهو خاصه في ما يتعلق بمفهوم الدلالة الفطرية، فله نقد في ذلك وهي دراسة مفيدة بلا ريب وتتميز بمحاوله بناء قراءه منهجيه متماسكه للنزاع بين النموذجين، لكن من وجهه نظري تحتاج الى حوار علمي اعمق لا سيما في تقويمها للنموذج التيمي، وفي بعض النتائج التي انتهت اليها بشان طبيعة تأسيسه المعرفي.

الدراسة الثالثة دراسة فرانك جريفل وهو مستشرق او باحث الماني عنوانها ابن تيميه وخصومه الأشاعرة حول العقل والنقل اوجه الشبه والاختلاف والحلقة المفرغة

وهذا البحث بترجمة عمرة بسيوني كذلك، وهذه الدراسة تمثل قراءه استشراقيه تحليليه للنزاع بين ابن تيميه والأشاعرة لا سيما الغزالي وفخر الدين الرازي، وهي لا تكتفي بعرض الجدل بل تتجه الى نقد النموذج التيمي نفسه، بل وتخلص الى ان نموذج ابن تيميه في حل مشكله العلاقة بين العقل والنقل يقع – بحسب توصيفه – في دور منطقيٍّ ممتنع، في مقابل ما تعتبره هذه الدراسة تماسكا منطقيا في النموذج الاشعري، وهنا تكمن اهميه هذه الدراسة، فهي لا تقف عند التحليل التاريخي بل تدخل في التقويم الفلسفي للمشروع التيمي.

– هذه الدراسة تناولت بعض اطروحاتها بالنقد والتحليل في مقاله ستنشر قريبا ان شاء الله بعنوان واقعيه ابن تيميه النقدية حول علاقة العقل بالنقل في سياق الجدل التيمي الاشعري قراءه تحليليه.

– هذه الدراسات الثلاث تمثل اتجاهات مختلفة في قراءه الكتاب:

– ما بين قراءه تحليليه داخليه (طوبجي) – واخرى قراءه جدليه مقارنه، وهي الدراسة الثانية، وثالثة قراءه فلسفية نقديه تقويمية للباحث جريفل.

-نختم المحاضـرة بملخص فنقول: إذا أردنا قراءة هذا الكتاب قراءةً صـحيحه فلا بد ان نسـتحضـر ما يلي: مسالته المركزية، وسياقه التاريخي، واوجه نقده الثلاثة الكبرى، وروحه المنهجية الواقعية النقدية التي اثبتها بالواقعية النقدية.

الاسئلة

- ستخرج لي ان شاء الله مجموع من البحوث قريبا.

س/ **هل يوجد ردّ على شـيخ الاسـلام ابن تيميه في هذه الاطروحة بما انها اطروحة نخلت المذهب الاشعري وفصلت فيه وردت عليه، هل لهم ردود ا تمثل الجانب الاشعري؟**

ج/ لا اعلم ان هناك كتابا مفردا قصد قصدا أصليا لمناقشه ابن تيميه في ردوده على قانون التعارض عند الرازي، لكن أجد هناك تعليقات من المتأخرين، وغالب التعليقات ليس تعليقات علميه محضـــة، وانما تعليقات فيها من النقد والتجريح لذات ابن تيميه فقط، هذا الذي اطلعت عليه، ولم أجد كتابا اشعريا قصد نقد ابن تيميه للرازي في قانونه التعارض.

س/ **هل اسـتمر الاشـاعرة بعد الفخر الرازي على نفس مسـتوى الانحراف في الموقف من النقل والعقل ام انهم تراجعوا بعد ذلك؟** لأني اذكر ان هناك نصوصا لبعضهم - خصوصا لدى متاخريهم - ينتقد ابن تيميه في الموقف من الرازي وفي الموقف من الأشـــاعرة في انهم يقدمون العقل مطلقا على النقل وان ابن تيميه اساء فهم الموقف، وبعضـهم يعتبر اصـلا ان موقف الرازي موقفا شـاذا عن جمهور الأشاعرة والتيار السائد فيه؟

ج/ مدرســه الرازي اســتمرت بعد الرازي، فجاء الايجي وهو خاتمه المنظرين الكبار للأشـــاعرة وكتابه المواقف المشـهور، وكذلك الجرجاني وغيره كالإسـفراييني و سـعد الدين التفتازاني وغيرهم من اسـاطين وكبار المنظرين الذي جاءوا بعد الرازي، فهي استمرت، ولكن هذا الخط وجد عند الأشـاعرة من ينكر من قديم كالغزالي وابن حجر الهيتمي، كذلك عند المتأخرين و وكثير من الاتجاهات الاشـعرية، وليس اتجاها واحدا ، فمدارس المتقدمين ومدارس الذين قربوا المنهج الاشـــعري الى الاعتزال كالجويني، والمدارس التي مالت الى التفلسـف كالرازي ومدرسـته، وما اشـبه ذلك، والاشـاعرة الاثريين كذلك لهم خط اخر مختلف، فهي ليست مدرسه واحده، صحيح اصولها واحده، ولكنها تختلف في تعاطي هذه الأصول.

س/ ما هي الكتب التي تقرا اولا ويُرتقى بها الى فهم درء التعارض؟

ج/ طبعا كتب ابن تيميه المشـــهورة المعروفة فالتدرج هذا مهم جدا في قراءه فكر ابن تيميه من كتبه الصـــغيرة والمتوســـطة، ثم اضـــافه الى امر مهم جدا وهو التعاطي مع علم الكلام فهما، بمعنى: لابد الانســـان كذلك ان يفهم ابعاد علم الكلام في مســـائله واتجاهاته ومأخذه، ولابد ان يكون عنده المام بعلم الكلام وبطبيعته، لان الخصـم هم المتكلمون، والقضـايا التي تناقش هي في دائرة علم الكلام، فلا بد من ان يأخذ الانســـان حظه من فهم علم الكلام حتى يتوصـــل به الى فهم اطروحات ابن تيميه في نقده لهذه المسائل، وهذه مهمه جدا.

– ولكن طبعا أنتم تعلمون ان العقيدة تسير في مسارين: مسار تقريري ومسار نقدي.

– المســار التقريري هذا مســار بنائي يبدا بعقيده اهل الســنة والجماعة والتأسـيس لها والبناء عليها من كتبها الاثرية ومن كتب ابن تيميه ومن كتب غيره.

– واما الجانب النقدي والمســـــار النقدي فهو مختلف فلابد ان يمارس علم الكلام بمعنى انه يحاول ان يتصور مسائله حتى يصل الى مثل هذه المستويات او الكتب المطولة حتى ينتفع بنقد ابن تيميه وينتفع بفكر ابن تيميه وكيف يفكر وكيف يتعاطى مع هذه المسائل.